

اضطراب التعليم في الأزهر

بين القديم والحديث

للأستاذ عبد المتعال الصعدي

شيء من الأشياء إنما يقوم على أساس الإيمان به ، فإذا فقد الإيمان به كان المضي فيه عبثاً ، ولم يمكن الحصول منه على ثمرة نافعة

وقد كان الطلاب في الأزهر قبل النظام الحديث يؤمنون بالقديم كل الإيمان ، لأنهم لم يكونوا يسمعون شيئاً من تقدمه ، ولم يكن الكلام على الإصلاح الحديث قد وصل بمد إلى أسماعهم ؛ وكانوا يقضون كل أوقاتهم بين جدران الأزهر ، فلا يختلطون بنيرهم ممن تربوا تربية حديثة ، ولا يستمعون إلى محاضرات علمية أو أدبية تلقى في ناد أو محفل ، وكانوا لا يعرفون إلا أساليبهم القديمة في التعليم ، ولا يدرسون إلا العلوم القديمة وكتبها ، فالفوا أساليبها وأفقههم ، وامتزج حبها بنفوسهم ودمائهم ، وآمنوا بفائدتها إيماناً لا يشوبه شك ، لأنهم لم يطلعوا من آثار الحديث ما يزعزع عقيدتهم في القديم ، أو يؤثر على أذواقهم التي تألفه وتستسيغها

وقد كان لإيمانهم بالقديم على فساده ثمرة فيما أخرجوا لنا من كتب تدل على براعتهم في قديمهم ، وأنهم كانوا يتقنونه كل الإتيان ، ويمجدون أساليبه كل الإجابة ، وقد أخرجوا لنا من تلك الكتب ما لا يحصى ولا يمد ، ما بين مختصرات بلغوا الغاية في اختصارها إلى حد التعقيد الذي كانوا يعشقونه ، ويتنافسون في طلب فهمه وحل رموزه ، وما بين مبسوطات بذلوا فيها كل جهودهم في التطبيق على تلك المختصرات . وقد بلغ من عنايتهم بذلك أنهم كانوا لا يكتفون بشرح واحد على مختصر ، بل كانوا يضمنون على المختصر الواحد ما لا يحصى من الشروح ، ثم يضمنون على تلك الشروح ما لا يحصى من الحواشي ، ثم يضمنون على تلك الحواشي ما لا يحصى من التقارير ، حتى ملأوا دور الكتب بمؤلفاتهم ، وضائق رحابها على سمعها بآثارهم

وليت الأمر وقف بطلابنا الآن عند تلك العوامل التي زعزعت إيمانهم بالتعليم في الأزهر ، بل هناك عامل آخر قضى

لم تعمل اللجنة التي ألفت للبحث في أسباب فساد التعليم في الأزهر شيئاً ، بل لم تكذب مجتمع حتى اختلف أعضاؤها خلافاً شديداً ، لأن النظام الحديث الذي قضى فيه الأزهر ما يقرب من نصف قرن لم يعمل شيئاً في توحيد آرائنا في الإصلاح ، وتكوين الانسجام الواجب بين أهل البيت الواحد ، بل تركنا كما كنا قبله كثرة ترى الجود على القديم فرضاً ، وقلة تمتع القديم وتبغض الجود ، وترى أن آثاره الباقية في الأزهر هي السبب في فساد التعليم فيه

وبهذا تزعزع الإيمان بين الطلاب بصلاح التعليم في الأزهر ، حتى تملكهم الحيرة ، واستولى عليهم اليأس ، فهم لا يزالون يرون القديم آخذاً بجنائهم ، ولا يزال أساليبه في التعليم مفروضة عليهم ، ولا بد لهم من الأخذ بها في دروسهم وامتحاناتهم ، لأن الطالب إذا لم يأخذ بها لم يمكنه أن يمضي في التعليم ، ولا يلبث أن يسب في الامتحانات ويطرد من الأزهر وفروعه ، ولكنهم يسمعون كل يوم نقد هذه الأساليب القديمة ، يلقيه عليهم أنصار الإصلاح في دروسهم ، ويقرءونه في بعض الكتب الحديثة المقررة عليهم ، وفيما يطالعون من الكتب والجرائد والمجلات ، ويسمعونه فيما يلقى عليهم من المحاضرات ، وقد تأثروا بكل هذا ، حتى صاروا لا يؤمنون بفائدة هذه الأساليب القديمة ، وأصبحوا لا يستسيغونها بعد أن تغيرت أذواقهم بما يطالعون من الأساليب الحديثة ، لأنها تختلف كل الاختلاف عن الأساليب القديمة ، فمن يتذوق إحداها لا يمكنه أن يستسيغ الثانية ، ولا شك أن النجاح في

وكنّا في عزلة عن الناس لا يروّنا ولا نراهم ، ولا نطلب منهم أن يولونا عملاً من أعمالهم ؛ فكنا في راحة منهم ، وكانوا في راحة منا ، ولم يضطرب أمرنا هذا الاضطراب الذي يلفت الناس إلينا ، ويجملهم يظلمون إلى أحوالنا ، ولا يرضيهم إلا أن تكون مألوفة لهم

وما هذا الترفيع بين القديم والحديث ؟ لقد صار بنا إلى أن ندرس في القديم ما ينقضه الحديث ، وندرس في الحديث ما ينقضه القديم ، فندرس مثلاً في تاريخ الفلسفة على الأسلوب الحديث أن الفلاسفة كانوا رجالاً من أرواب الفكر الحر ، ونمد هذا مفخرة من مفاخرهم ، فإذا تركنا تاريخ الفلسفة إلى علم التوحيد درسنا فيه على الأسلوب القديم ، أن الفلاسفة أعداء الدين ، ونفرنا الناس بكل وسيلة من فلسفتهم . وهكذا ندرس في تاريخ الأدب العربي على الأسلوب الحديث أن كتابة التدوين والتصنيف بدأت في الانحطاط من أوائل الحكم العثماني ، فاخترع نأليف الحواشي والتقارير والرسائل الخاصة بشرح قاعدة أو جملة أو قصيدة ، وضعفت عباراتها وازدادت تعقيداً وغموضاً ، حتى أصبح ذلك مما يتنافس فيه ، ويقان في صاحبه العلم والدقة ؛ فإذا تركنا تاريخ الأدب العربي وجدنا الكتب التي يذمها لا تزال هي الأساس الذي يقوم عليه التعليم في الأزهر

ولا شك في أنه لا يوجد تعليم في الدنيا أسوأ من هذا التعليم الذي ينقض بعمقه بعضاً ، ويوقع الطلاب في حيرة لا يدرون فيها شيئاً ، ولا يوجد فيه من الانسجام ما ينسجم به بعضهم مع بعض ، وما ينسجم به جميعهم مع الناس جميعاً .

عبد المنعم الصبيحي

عليه كل القضاء ، وهو عامل له خطره على الأزهر وأهله ، لأنه قد حدا ببعض طلابنا أن يحملوا من الأزهر وسيلة تعدم لمعادن أخرى لا صلة لها به ، وتجمعه في منزلة مدرسة ثانوية تعد الطلاب لما بعدها ، فيصبح وليس هو الأزهر الجامعة الكبرى للمسلمين ، وليس هو الأزهر الذي يجب أن يخرج لنا فطاحل العلماء ، وأئمة الدين

قد رأى طلابنا بعد أن أخذوا بالنظام الحديث أنهم صاروا أهلاً لوظائف الدولة ، لأنهم درسوا فيه العلوم الحديثة التي تؤهلهم لهذه الوظائف ، ولكنهم حيناً يقصدون من يبدع أمراً يجدونهم ينظرون إليهم كما كانوا ينظرون إلى أهل الأزهر القديم ، ولا يسمحون لهم بشيء منها إلا بشق الأنفس ، وبعد شفاعات ووساطات تذهب بكثير من كرامتهم ، ويجملهم يستخطون على التعليم الذي يزهد الناس فيهم ، ولا يجملهم يرغبون فيهم كما يرغبون في غيرهم ، وتذهب بهذا البقية الباقية من إيمانهم به ، وقد بدا أثر هذا العامل عليهم فيما يطلبه أبناؤنا في كلية اللغة العربية من فتج باب معهد التربية لهم ، ليتخلصوا في نهاية أمرهم منا ، ويصبروا إلى من يبدع أمراً تلك الوظائف ، وهذا أمر له ما بعده ، وستكون نهايته إن صبرنا عليه سمي الطلاب جميعاً في التخلص منا

فيا قوم إذا كنتم تريدون الوصول إلى سبب فساد التعليم في الأزهر فهذا بيانه ، وإذا كنتم تريدون إصلاحه فاعملوا على وضع تعليم يؤمن به الطلاب ، ويؤمن به من يتصلون بهم من الذين تربوا تربية حديثة ، ويوفق بين آرائنا المضطربة ، ويقرب بين أذواقنا المختلفة ، ويجملنا كلنا نؤمن بالإصلاح والتجديد ، ونتفق على كره الرجعية والجود

ودعونا من هذا الترفيع بين القديم والحديث ، فإن الثوب القديم يألف الناس لبسه ولو كان بالياً ، أما الثوب المرقع من القديم والحديث فإنه لا يألف لبسه أحد ، ومن يلبسه يكون ضحكة بين الناس . وقد مضت علينا أزمان ألفنا فيها القديم خالصاً ،

حكم في القضية ٣٠٣ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤٢ ضد الحواجة كوسته دلاي صاحب فرن بدسوق بتفريعه • جنيه والنشر والتطبيق والنلق ثلاثة أيام على مصاريفه وذلك ليومه خيراً بسر أكثر من المحدد بالتسمية .